المستشفيات الخيرية الوطنية[1]

سادتي

المعاهد الخيرية

حيا الله معاهد الخير وحيا اهلها وناصريها باجمل التحيات

حيا الله معاهد الخير في كل زمان ومكان وفي كل امة ولسان

فهي حبيبة البؤساء وعشيقة الفلاسفة والشعراء . في ابتسامات الدهر العبوس . في نفحات الازهار العطرة . في رسل السلام و بلسم الجروح وطيبة المرضى ومعزية الحزانى . في نشات تلك الروح المائطة من السماء التي تنطق وهي صامتة وتجالس اكابر الناس فتناجيهم بأسرار الملائكة . في روح العطف على الغير . بل في الانسانية باعلى معانيها وابهى سناها

امهات المصائب

ان امهات المصائب التي تتولد منها مصائب الدهر كافة ثلاث : « الفقر والمرض والموت » واشدها المرض لان المرض طريق الموت الاعم وقد طالما كان طريق الفقر والخراب . لذلك كان همّ رجال الخير منصرفاً بالاكثر الى محاربة المرض وتخفيف ويلاته بكل ما في الطاقة . واهم الوسائل التي اتخذوها لهذه الغاية « المستشفيات الخيرية »

تاريخ المستشفيات في النصرانية

اما المستشفيات على الشكل الذي نراهُ اليوم فلم تكن معروفة عند القدماء بل كان المرضى يعالجون في منازلهم او في منازل اطبائهم وكان الطبيب اذا اشتهر بمعالجة مرض اصبح منزلهُ مستشفى ذلك المرض على نحو ما نراهُ اليوم عند اهل البادية والحضر الذين لم تصل اليهم وسائل التمدن بعد

ويؤخذ من التاريخ العام ان المستشفيات على النمط المعروف اليوم لم تنتشر الاَّ بانتشار النصرانية وتأسيس الابرشيات فكان كل مطران ينشئ مستشفى لمرضى ابرشيته حتى انهُ في عهد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ميلادية كانت المستشفيات معروفة في جميع البلاد النصرانية

---

(١) خطبة القاها عزيز عوض بك شفير مدير قلم التاريخ بحكومة السودان في الاحتفال بافتتاح المستشفى الخطي الخيري في شارع عباس بمصر في ١٣ يونيو سنة ١٩١٢

واول مستشفى اشتهر لهم مستشفى قيصرية (في كبدوكية) اسسهُ الامبراطور فالنس في اواخر القرن الرابع (٣٧٠ — ٣٨٠ م) وفرضهُ باسم الاثاث

واشتهر بعدهُ مستشفى كريسم في الامبانة . وانشئ مستشفى للقطاء في ميلان (٧٨٧ م) ومحجر في الامبانة في اواخر القرن الثامن

وفي القرن التاسع كان في رومية وحدها اربعة وعشرون مستشفى

واسس الكسيوس الاول مستشفى للايتام في الامبانة سنة (١٠٩٠)

وبعد هذا العهد اخذت المستشفيات تنتشر بزيادة مطردة حتى ملأت اوربا واميركا وجميع البلاد المتمدنة . وهي الآن معدة لجميع انواع الامراض وجميع اجناس الناس وفيها المعدات والآلات الجراحية على احدث طراز

تاريخ المستشفيات في الاسلام

ويستدل من تاريخ التمدن الاسلامي للعلامة جورج بك زيدان ان العرب المسلمين اخذوا المستشفيات عن الفرس فاشتهر لهؤلاء مستشفى جنديسابور واول مستشفى اشتهر للعرب في الاسلام مستشفى دمشق انشأهُ الوليد بن عبد الملك الاموي سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) واشتهر لهم مستشفى في بغداد اسسهُ الرشيد العباسي وولى رئاستهُ ليوحنا بن ماسويه من شهر اطباء جنديسابور . واول مستشفى اشتهر في مصر مستشفى الخاقر انشأهُ الفتح بن خاقان وزير المتوكل . ثم مستشفى بن طولون سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) انفق عليهِ ٦٠٠٠٠ دينار . ثم المستشفى العتيق لصلاح الدين الايوبي في القاهرة . ثم المستشفى المنصوري للملك المنصور قلاوون من سلاطين المماليك اسسهُ سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . ثم المستشفى المؤيدي للملك المؤيد سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)

تاريخ المستشفيات في مصر

واول مستشفى اسس في مصر في هذا العهد مستشفى القصر العيني اسسهُ المصلح الكبير المغفور لهُ محمد علي باشا بمعونة الدكتور كلوت بك الفرنساوي الشهير ولا يزال قائماً الى اليوم تنبعث منهُ اشعة الخير الى كل جهات القطر

وما زالت الحكومة المصرية توالي السعي في تأسيس المستشفيات وتعميمها في القطر حتى بلغ عددها الآن خمسة وعشرين مستشفى خمسة في القاهرة وعشرون في الوجه

البحري والقبلي (١)

وللاجانب في القاهرة وحدها خمسة مستشفيات (٢)

هذا ولما كان الرمد من اعظم الادواء التي منيت بها مصر اهتم المصريون بتأسيس مستشفيات خاصة لمقاومة الرمد

واول صوت ارتفع في هذا العهد لهذا الغرض صوت الوطني الغيور الدكتور محمد علوي باشا في المؤتمر الدولي الذي عقد في هذه العاصمة سنة ١٩٠٢ لتحسين حالة العميان . فاصاب ذلك الصوت الكريم هبة من السر ارنست كاسل المالي الانكليزي الشهير يبلغ ريعها السنوي الآن الفين وخمسمائة جنيه يضم الى ميزانية الصحة وينفق على مقاومة الرمد

وبعد هذه الهبة التي تدل على نبل صاحبها وكرم اخلاقه اهتمت الحكومة المصرية وكبار الاهلين ومجالس المديريات بتعضيد المشروع فاصبح في القطر الآن ثمانية مستشفيات رمدية ثابتة وستة نقالة (٣) يديرها الدكتور مكلين الرمدي الانكليزي الشهير ومعهُ فئة من المفتشين الانكليز والاطباء الوطنيين

محاجر مصر

هذا وللحكومة المصرية محجر للحجاج في مدينة الطور بني على الطرز الجديد سنة ١٨٩٣ الف وثمانمئة وثلاث وتسعين وهو من اعظم محاجر الدنيا اتقاناً في هذا العهد . ومحجر في كل

---

(١) وهي مستشفى القصر العيني ومستشفى الجاذبية في العباسية . ومستشفى آخر للجاذبية في الخانكه ومستشفى المحبات في العباسية . والمستشفى العباسي من بناء الاوقاف خاصة في ميدان عابدين وكلها في القاهرة وفي كل من المدن الآتية مستشفى في الاسكندرية ودمياط وبورسعيد والسويس وقليوب (وبانوب والقائم بنقاوة الحسن الكبير شواربي باشا) وبنها والزقازيق وطنطا والمنصورة وشبين ودمنهور ومنوف ومطروح (الوجه البحري)

وفي الفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج وقنا واسنا واسوان (الوجه القبلي)

(٢) وهي المستشفى الفرنساوي والمستشفى الايطالي وكلاهما في العباسية . والمستشفى الالماني في شارع عماس . والمستشفى الانكليزي الاميركي في الجزيرة . ومستشفى الدكتور ملتون الخاص

(٣) اما النقالة فهي اثنان من ريع هبة السر ارنست كاسل . واربعة من بناء مجالس المديريات اثنان في الغربية ومستشفى في اسيوط وآخر في الدقهلية

واما الثابتة فهي : مستشفى في طنطا من بناء الحكومة ومستشفى في اسيوط من بناء الحكومة والاهالي . ومستشفى في المنصورة بني بمال بدراوي باشا . ومستشفى في بني سويف من بناء الاهالي . ومستشفى في الزقازيق من بناء مجالس المديريات وسيعمل بالتحاقه في ١٥ يونيو سنة ١٩١٣ . ومستشفى في سوهاج والبناء جارٍ فيه الآن من مال الاهالي

من مدن السويس وعيون موسى و بور سعيد ودمياط ورشيد والاسكندرية

المستشفى القبطي الخيري

على ان جميع هذه المستشفيات والمحاجر في القطر المصري اما اميرية او اجنبية او اهلية تعضدها الحكومة او الاجانب

اما « المستشفى القبطي الخيري » هذا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم فانهُ يمتاز عن سائر مستشفيات القطر بانهُ وطني محض فانهُ مؤسس لابنـــاء الوطنيين وقائم بالمهم ورجالهم وليس للاجانب او الحكومة يد فيهِ

فضل المستشفيات

ولا حاجة الى الاسهاب في فضل المستشفيات ومنافعها سواء كانت وطنية او اجنبية اميرية او تجارية · ثابتة او نقالة · معدة لمرض خاص او لجميع الامراض فكلكم عالم ان لمستشفيات تتوفر فيها الاطباء الاختصاصيون وفيها الادوية والادوات الجراحية على احدث طرز · وفيها الممرضات المتمرنات على التمريض عليًا وعمليًا مما يتعذر بل يستحيل توفرهُ في البيوت وعلى الخصوص في بيوت الفقراء

نعم ان المريض في منزلهِ يجد من اهلهِ واحبائهِ اشد العناية واصدقها لانهم يخدمونهُ بدونهم وافئدتهم وكل جوارحهم ولكن المسألة الهامة هي هل يعرفون كيف يخدمونهُ بطرق التي وصل اليها العلم في هذه الايام كما في المستشفيات ؟ كلا · بل الكثير من المرضى بسبب ضحية جهل اهلهم اصول التمريض فان للتمريض اهمية لا تقل عن اهمية التطبيب · وعلى ذلك ترى جمهور المصريين ينفر من المستشفيات · وقد سألت بعض الاطباء الخبيرين عن ذلك فقال :

« انهُ في اول عهد المستشفيات في مصر لم يكن علم الميكروبات (وما يتطلبهُ من النظافة لتطهير والتعقيم) معروفاً عند الجراحين فكان يدخل المصاب المستشفى بجرح بسيط فلا يلقى في معالجتهِ شروط النظافة فكثيراً ما كان يتعفن الجرح ويسمم الدم ويذهب المصاب ضحية الجهل · فنفر جمهور المصريين بحق من المستشفيات » . وما زال هذا النفور مستمسكاً بالنفوس الى اليوم مع انهُ لم يعد لهذا النفور موجب بعد الذي صارت اليهِ المستشفيات في الثلاثين سنة الاخيرة من النظافة والاتقان حتى اصبح الكثير من اهل اليسار والرقي وفي وسعهم الاطباء يفضلون المعالجة في المستشفيات طبها في منازلهم · فالمستشفيات الآن تعد في منتهى ما وصل اليهِ العلم من وسائل الراحة والمداراة والمعالجة · وبالتالي فهي المعهد

الاصلح لمعالجة المرضى وتخفيف الألم وتقليل الموت وكفى بذلك نفعاً . وهذا النفع انما يتمتع به الغني وحده في المستشفيات التجارية واما في المستشفيات الخيرية فيتمتع به الغني والفقير على السواء

فضل المستشفيات الخيرية

سادتي : الشقاء في الناس كثير واشد الشقاء مرض ينقلب فيه الفقير البائس على فراشه يطلب الدواء فلا يجده والطبيب وما من مجيب والطعام والكساء والمأوى وهو معدم لا مال له ولا معين ! ! فما الذي يسد عوز هذا الشقي المسكين ويفرج كربته ويمسح دمعته ؟

هـ المستشفيات الخيرية — فسلام عام على المستشفيات عامة . وسلام خاص على المستشفيات الخيرية . وسلام اخص والف تحية على المستشفيات الخيرية الوطنية

فضل المستشفيات الخيرية الوطنية

سادتي : اني اخص المستشفيات الوطنية بالسلام وجميل الذكر لان الاعمال الخيرية الوطنية في بلاد هي دليل الرقي الصحيح فيها . اذ الاعمال الخيرية في قوم هي نتيجة شعور القوم انفسهم (لا حكومتهم ولا الاجانب الذين بينهم) بوجوب عطف بعضهم على بعض ومداواة بعضهم علل البعض . وهذا الشعور وهذه المداواة لا يظهران الا في اصحاب الرقي الذين كرمت نفوسهم ورقت انفسهم

ومن المشاهد المؤيد بالادلة التاريخية انهُ كلما ارتقى قوم في المدنية رق شعورهم واشتد عطف بعضهم على بعض

انظروا الى الهمج السود اكلة اللحوم البشرية فانهم اذا مرض عجوز في قبيلة دفعوهُ الى قبيلة اخرى لتذبحهُ وهو حي وتأكلهُ ديناً عليها حتى اذا ما مرض عجوز من هذه القبيلة اخذتهُ القبيلة صاحبة الدين واكلتهُ سداداً لدينها

كم ينبغي ان يمر من العصور لتنقلب قسوة هؤلاء الهمج السود الى ضدها ويعطف بعضهم على بعض خصوصاً في ايام المرض والعجز

الانسان بآثاره ومبراته

سادتي : الناس في الشرع شرع متساوون في الحق والواجب فما يسود انسان على انسان الا بعقله ولا يفضل عنهُ الا بآثاره ومبراته

جد ما شئت في اعمالك ونوعها واحكمها فانك لا تجد بينها عملاً اروع من عمل الخير

فهو يسطع كالنجم ويتضوع كالمسك ويبعث السرور الى القلب ويكسب العامل محبة الخالق ورضى المخلوق

كم لمؤسس جمعية الاسعاف من الآثار الجميلة في القطر ولكن الخير الذي يتدفق من تلك الجمعية على سكان القاهرة كل يوم قد غطى تلك الآثار واحاط اسم ذلك الوجيه المفضال بحر زاخر من العز والفخار

كم للفقيد العظيم الذي فاجأته المنية امس من المآثر والمبرات ولكن سيبقى مستشفاه في قلوب درة في تاج مآثره الحسان ونجماً ساطعاً في سماء مبراته على مر الزمان

ثم اي عمل اجمع عليه الشعب المصري الكريم اروع واجمل من تبرعهم للهلال الاحمر وانقاذهم آلاف الابطال من آلام الجراح والجوع وويلات الحروب

فضل الجمعيات الخيرية

سادتي : الناس في الوطن الواحد متضامنون في الخير والشر فاذا كثر عمال الخير فيهم صلح حالهم وبالعكس اذا كثر اشرارهم

ولا بد لعامل الخير من سجيتين راقيتين وهما « روح العطف على الغير · وسخاء الكف » ولا شيء يغني هاتين الخلتين في امة مثل انتشار الجمعيات الخيرية فيها · فان الجمعيات الخيرية تقوي فعل الخير في من ضعفت فيهم هاتان الخلتان معاً او ضعفت فيهم واحدة منهما وتعودهم على الخير تدريجاً فان الخير عادة كما ان الشر عادة

والجمعية الخيرية القبطية تقوم بهذا الواجب الشريف نحو قومها فهي لهم المثل الصالح المحبب الى الخير والباعث الى جليل الاعمال والآن بانشائها هذا المستشفى قد صارت المثل الصالح للجمعيات الخيرية الطائفية في القطر كافة وحق لها بذلك الفخر وحق لها منا المنة وجميل الشكر

المرحوم بطرس باشا غالي

ومعلوم ان هذه الجمعية في غرس ذلك الوطني الكبير والنابغة الشهير صاحب المآثر الغراء على القطر المغفور له بطرس باشا غالي وهذا المستشفى هو ثمرة ذلك الغرس الكريم فهنيئاً هذا الغرس ولتمد الله الغارس برحمته ورضوانه

والنفس ان كرمت وعز مرامها بلغت من العلياء كل مكان
وتشرفت مر الخلود واثمرت منتاً تخلدها على الازمان